مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

ينابيع العلوم
(سورة الشرح)

للعلامة شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة الخُوَيِّي (ت ٦٣٧هـ)

دراسةً وتحقيقًا

إعداد

د. بداح بن عبد الله بن محمد السبيعي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة بيشة

- من مواليد عام ١٤٠٥هـ، بمدينة رنية بالمملكة العربية السعودية
- تخرج في كلية المعلمين، بجامعة الملك خالد، بمدينة بيشة عام ١٤٢٨هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن - كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٣١هـ بأطروحته: "**فتح القدير في علم التفسير" لأحمد بن محمد بن جبارة الحنبلي المقدسي (ت٧٢٨هـ) (دراسة وتحقيق)**، كما نال منه شهادة الدكتوراه عام ١٤٣٧هـ بأطروحته: "**القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز" للسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ) (دراسة وتحقيق)**.
- من أعماله المنشورة: "**تأدية الأمانة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب:٧٢]" لمحمد بن محمد البكري الصديقي (ت٩٥٢هـ) (دراسة وتحقيق)**.
- البريد الشبكي : aalsbyy444@gmil.com

(قدم للنشر في ١٤٤٢/٢/١٤هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٢/٣/٩هـ)

المستخلص

هذا البحث يتناول دراسة وتحقيق تفسير(**سورة الشرح**) من كتاب (**ينابيع العلوم**) **للعلامة شمس الدين، أحمد بن الخليل الخويي** (ت٦٣٧هـ)، وفيه إظهار لجزء من هذا الكتاب الماتع الذي حوى جملة من العلوم، وهذا الجزء يمثل جزءاً من علم التفسير أحد علوم الكتاب.

وقد سار في تفسيره لهذه السورة على طريقة في غاية الإبداع والترتيب، فتناول السورة من خلال عرضه لسبع لطائف علمية أتبعها بسبع لطائف أخرى سماها بالمستملحة.

وجاء البحث في مبحثين، **الأول**: فيه دراسة عن المؤلف والكتاب، **والثاني**: تحقيق النص، وقد سلكت فيه المنهج المتبع في التحقيق العلمي، واعتمدت في تحقيق هذا البحث على خمس نسخ خطية.

الكلمات المفتاحية: تفسير – سورة الشرح – ينابيع العلوم – الخويي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا بحث في تحقيق (سورة الشرح) من كتاب (ينابيع العلوم) للعلامة شمس الدين، أحمد بن الخليل الخويي، المتوفى سنة ٦٣٧هـ.

١. أهمية البحث:

١. تعلقه بالقرآن الكريم الذي هو أشرف الكلام وأفضله.

٢. إبراز جهود علماء الأمة بالقرآن الكريم تعلماً وتعليمًا وتدبرًا وتفسيرًا واستنباطًا.

٣. الحاجة إلى إخراج هذا المخطوط محققًا تحقيقًا علميًا؛ ولكونه لم يتناوله أحد من الباحثين، ونشره ليستفاد منه.

٢. أسباب اختيار البحث:

١. الإسهام في خدمة القرآن الكريم والدراسات القرآنية.

٢. إخراج تراث علمائنا المتقدمين، وإبراز جهودهم المباركة.

٣. تحقيق تفسير هذه السورة العظيمة، وفقًا لأصول منهج البحث المتبع في الجامعات والأقسام العلمية، وجَعْلِها في متناول الباحثين في علوم الإسلام عمومًا، وفي مجال التفسير خصوصًا.

٣. الدراسات السابقة:

بعد البحث في قواعد المكتبات الرقمية تبين لي أن هذا المخطوط لم يحقق بعد.

٤. خطة البحث:

جعلت هذا البحث في مقدمة، ومبحثين، وفهارس:

المقدمة: وتشتمل على ما يلي: أهمية البحث، أسباب اختياره، الدراسات السابقة، خطة البحث، منهج التحقيق.

المبحث الأول: الدراسة: وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** ترجمة المؤلِّف.
- **المطلب الثاني:** دراسة الكتاب.

المبحث الثاني: النص المحقق.

- الخاتمة.
- الفهارس.

٥. منهج التحقيق:

١. نسخ النص وفقاً لقواعد الرسم الإملائي، وتمشِّياً مع الطرق الحديثة في الكتابة.

٢. لا أتعرض لنص المؤلف أبداً بل أبقيه على ما هو عليه.

٣. قابلت بقية النسخ على النسخة الأصل(الأم)، ذاكراً أهم الفروق بينها.

٤. كتبت الآيات القرآنية بخط مصحف المدينة النبوية، وعزوتها بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن بين معقوفتين.

٥. خرجت الأحاديث النبوية من مصادر السنة الأصيلة، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وما كان في غيرهما ذكرت بعد التخريج حكم أهل الحديث عليه.

٦. توثيق النصوص التي أوردها المصنف من أحكام ولغة وغيرها، بعزوها إلى المصادر التي استقى منها المؤلف على حسب ما يتوفر منها.

٧. التعليق على ما يحتاج إلى تعليق.

٨. بيان الألفاظ الغريبة التي أوردها المؤلف من خلال كتب المعاجم واللغة.

المبحث الأول

الدراسة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة المؤلِّف، وفيه:

أولا: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

ثانيا: مولده.

ثالثا: نشأته وحياته العلمية.

رابعا: ثناء العلماء عليه.

خامسا: شيوخه وتلاميذه.

سادسا: مصنفاته.

سابعا: وفاته.

المطلب الثاني: دراسة الكتاب، وفيه:

أولا: تحقيق اسم الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلف.

ثانيا: منهج المؤلف في كتابه من خلال الجزء المحقق.

ثالثا: وصف النسخ الخطية، ونماذج مصورة منها.

المطلب الأول: ترجمة المؤلف: وفيه:

أولا: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

هو شمس الدين، قاضي قضاة الشام، أبو العباس[1]، أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى المُهَلَّبِي[2]

(١) والبعض نسبه وأسماه بـ(اللَّبُّودي)، وهو خطأ بلا ريب، للالتباس مع (أحمد بن خليل بن أحمد، أبو العباس ابن اللبودي، ت٨٩٦ هـ).

(٢) نسبة للمهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولم أجد لأحد أجداده ذكرا، في: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (١/ ٣٦٧)، والأنساب، للسمعاني (١٢/ ٥٠١)، وفي اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير (٣/ ٢٧٦): «المهلبي بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام المفتوحة وفي آخرها باء موحدة هذه النسبة إلى =

الأزدي[١] البَرْمَكِي[٢] الخُـوَيِّي[٣] الدمشقي الشافعي.

ثانيا: مولده:

ولد في شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بخُوَيَّ[٤].

ثالثا: نشأته وحياته العلمية:

♦ **نشأته:**

لم أظفر بكثير أمر في حياة المؤلف ونشأته فيما وقفت عليه من مصادر؛ لكن من خلال الربط بين كلام من ترجم له، ورحلته المبكرة من سنه للعلم، اتضح لي جلياً أنه نشأ في بيت علم وحذق منذ نعومة أظافره، حتى وقفت على كلامه عن نفسه وقصته مع والده -فلا تدري أتعجب من الوالد أم الولد؟- عن شيء من نشأته، فجاءت المصادقة، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: فإني في صغر سني تمكن الضعف مني، بسبب أسقام

= أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي أمير خراسان وينسب إليه كثير من العلماء نسبة وولاء...».

(١) نسبة لقبيلة أزد المعروفة، نص على نسبته في: المقفى الكبير، للمقريزي (٥/ ٩٤).

(٢) تفرد بهذه النسبة السبكي في: طبقات الشافعية (٨/ ١٧)، والمشهور أنها اسم لمحلة وموضع في بغداد كما في: الأنساب، للسمعاني (٢/ ١٨٠)، ومعجم البلدان، للحموي(١/ ٣٦٧). وفي معجم دمشق التاريخي، للشهابي (١/ ٣٠): البرامكة: من أحياء دمشق خارج السور، بين حي القنوات وساحة الجمارك الحالية. تنسب تسميته لمقبرة البرامكة التي كانت تمتد بين مبنى الجامعة السورية والمستشفى الوطني. قلت: إن لم يكن خطأ أو تصحيف عند السبكي، فالنسبة لحي دمشق أقرب، والله أعلم.

(٣) نسبة إلى خُوَي- بضم الخاء المعجمة، وفتح الواو، بعدها ياء تحتية، والياء الثانية ياء النسب، وهي مدينة من أذربيجان، وتقع اليوم في جمهورية إيران. انظر: الأنساب، السمعاني (٥/ ٢٣٦)، ومعجم البلدان، للحموي (١/ ١٢٨). ويقول السمعاني في المرجع السابق: والمشهور بالانتساب إليها أبو معاذ عبدان الخويي المتطبب، يروي عن الجاحظ.

(٤) وهو الصواب، لما حكاه صاحب بغية الطلب، ابن العديم (٢/ ٧٣٦) قال: «وأخبرني جمال الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن الصابوني قال: سألت القاضي شمس الدين الخويي عن مولده، فقال: في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بخوي». وكذا عند غالب من ترجم له، وفي ذيل الروضتين، لأبي شامة (ص ٢٦٠): «وكان مولده في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، فيما قرأته بخط ولده محمد». وكذا في نزهة الأنام، لابن دقماق (ص: ١٢٠)، ونهاية الأرب، للقلقشندي (٢٩/ ٢٧٢).

أطالت بي المقام، وكثرة آلام أحالت مني العظام، حتى رَقّ لحمي ودَق عظمي، وأبي في تضاعيف ضعفي-مع أن بي من الضعف ما يكفي- يكلفني تكليفاً يُفَتِّتُ الحصا، وأنا فيه لا أشق له العصا، فآتي بوظائف التكرار في المساء والصباح، فوق طوق الصغار الأقوياء الصحاح، حتى حفظت البُلغة والمصادر وأن ابن عشر، ثم حفظني اللُمع ونزهة الطرف والمقامات وكثيراً من الشعر، قبل أوان إنبات الشعر، ثم شغلني بالتفقه زماناً يسيراً، إذ كان في عزمه أن يعلمني من الطب شيئاً كثيراً، لـما حدث من خمود وخمول الفقهاء، ورأى كثرة حاجة الأحياء إلى الأطباء، فحفظني مسائل حنين، ومرشد ابن زكريا، وأنا تراني بالعين ...يا[1] وشكلاً زرياً، ثم قرأني ذخيرة ثابت بن قرة، وأنا من المشقة في حياة مرة، أرى في الموت أعظم مسرة، فلما بلغت من سني الحلم، وملكت في نفسي الحكم، تركت الاشتغال أصلاً ورأساً من شدة الملالة، وعاشرت في السوق أهلاً وناساً غلب عليهم الجهالة، وفتحت في جوار أبي دكاناً، واتجرت فيه زماناً، وكنت كمسجون أطلق، فصرت كمجنون أحنق، تراني للاشتغال بالعلم كارهاً، وفي الحرفة فارساً فارهاً، فقال لي أبي في بعض الليالي، لو فعلت ما فعلت واشتغلت بما اشتغلت، لابد من أن يكون لك في العلم شأن، وإني أُريت ذلك في هذا الزمان، وأعلم أني كنت في الصغر على ضد طبعك ونقيض صنعك!، فإني يأمرني والدي بمعاشرة أهل السوق، وأنا إلى أرباب العلم مشوق، فأعاشر التجار بسبب ما عليَّ من الاحتجار، وأنفلت أحياناً إلى التعلم، وأجد على فواته أشد تألم، وبقي حب التعلم في قلبي إلى أن حملتك أمك، فشغلني عن طلب العلم همك، وزال مني الطلب، ومال قلبي إلى جمع المال، فقلت في نفسي الجزء الطالب مني هذا الذي انفصل عني، وتفرست أن الحمل بذكر، يعيش ويكون له ذكر، فلما صح بعض فراستي وجاءني ولد ذكر، وعاش مع كثرة

(١) بياض في الأصل قدر حرفين.

الأمراض، وبلغ الحلم وزالت الأَعراض، قلت لا بد من أن يصدق في الباقي فراستي، ولهذا شققت عليك في تعليمي إياك ودارستي.

ثم سَفَّرني إلى ابن هُبل الطبيب لأقرأ عليه القانون، فرغبني قوم في الاشتغال في فنون الظنون، وكان في ذلك الزمان علاء الدين الطَّاوُوْسِيّ بهمدان، مقصد الرجال ومحط الرحال، يتقن الجدل ويحسن الجدال، فارتحلت إليه واشتغلت عليه، ثم حملني جمع على سفر خراسان، لتعلم الأصول والتكلم في المعقول، فقصدت الإمام فخر الدّين الرَّازيّ، وكان واحد العصر وأنواع علومه فاتت الحصر، فوجدت في السفر شدة وأقمت عنده مدة، فدبر أبي شيئا وقدر ربي غيره، واشتغلت بغير الطب وجعل الله فيه خيري وخيره.

فانظر كيف كان حالي فيما مضى، وكيف قضى الله اشتغالي بأمر القضاء، وحبب إلي أصول الشريعة وفروعها، وكره إلي فصول الطبيعة وفضولها، وشغلني بتلاوة كتابه، وتفهم لطائف خطابه، وتقرير أحكامه، وتفسير كلامه، فالله تعالى يجعل الخاتمة خير[(١)].

♦ حياته العلمية:

قدم حلب وأقام بها مدة ثم سار منها إلى دمشق، وتوفي بها، ولم تسعفنا المصادر بشيء عن مدة بقائه في بلاد المشرق، ومتى ارتحل منها، وهل مر ببلدان قبل وصوله إلى حلب؟

أما عن حياته بعدما استقر في حلب، فنترك الكلام عنها لصاحب بغية الطلب- وهو أكمل من كتب عنه في هذه الفترة فقد عاصره وقارنه- قال: قدم علينا[(٢)]

(١) السفينة النوحية في: الباب الثامن: الخاتمة والنصيحة. (ص ٣٠).

وأقول: ليته أطال وفصل وفرّع في رحلاته ومشايخه، وإني أدعو كل عالم وفاضل مُبرَّز أن يكتب سيرته، فإن فيه خير لنفسه ولمن أتى من بعده، وفيه فك لما يُشكل بين الباحثين في مسائل التراجم وتوابعها.

(٢) لعله قبل أو بعد سنة (٦٢٠هـ) بيسير، وعمره في بحر الثلاثين.

حلب، وتولى بها الإعادة بالمدرسة السيفية[١]، ومدرسها إذ ذاك القاضي زين الدين أبو ذر[٢] عبد الله ابن شيخنا عبد الرحمن بن علوان، وسمع بحلب جماعة من شيوخنا مثل: قاضي القضاة أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، وأبي محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي وغيرهما[٣]. وأقام بها مدة ثم سار منها إلى دمشق، وحضر مجلس الملك المعظم عيسى[٤] بن الملك العادل صاحبها[٥]، فأعجبه كلامه، ونفق عليه وارتفعت حاله عنده إلى أن ولاه القضاء[٦]بدمشق والتدريس بالمدرسة العادلية[٧]، فسلك أحسن المسالك والطرق في القضاء، ولازم العفة والصلاح، وحُمدت طريقته، وشُكرت سيرته ... وسَمت نفسه إلى حفظ القرآن العزيز ولم يكن يحفظه، فحدثني جماعة بدمشق أنه ألزم نفسه بحفظه حتى حفظه

(١) هي المدرسة السيفية الشافعية، أنشأها الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر. انظر: كنوز الذهب، لسبط ابن العجمي (١/ ٣١٦).

(٢) يظهر أنه خطأ، والصواب كما في المرجع نفسه وغيره أن كنيته أبو محمد.

(٣) ستأتي ترجمتهما في مبحث شيوخه.

(٤) هو عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، الملك المعظم، العالم الفقيه، الفاضل المجاهد في سبيل الله، الغازي، النَّحويّ، اللغوي، كان عالي الهمة حازماً شجاعاً مهيباً فاضلاً، توفي يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنة (٦٢٤هـ). انظر: مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي (٢٢/ ٢٨٥)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٤٩٤).

(٥) يعني: دمشق. وهو محمد بن أيوب بن شاذي بن مروان، أبو بكر الملك العادل سيف الدين، وكنيته أشهر من اسمه، أخوه السلطان صلاح الدين، رحمهما الله تعالى، توفي سنة(٦١٥هـ). انظر: مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي (٢٢/ ٢٣٠)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان (٥/ ٧٤).

(٦) وذلك في يوم الأحد سادس شهر ربيع الأول سنة (٦٢٣هـ)، فيكون على هذا عمره أربعين سنة. انظر: ذيل الروضتين، لأبي شامة (ص٢٢٤). هذا السبب عند ابن العديم في تولية المعظم للمؤلف القضاء وعلو منزلته عنده، وعند غيره ينظر: مرآة الزمان (٢٢/ ٢٧٩)، عيون الأنباء (ص: ٦٤٦)، التاريخ المنصوري (ص: ١٢٢)،المقفى الكبير (٥/ ٩٥).

(٧) هي المدرسة الكبرى التي بناها الملك العادل، أبو بكر أيوب داخل دمشق، وفيها تربته فتنسب إليه. انظر الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي (١/ ٣٥٩).

جميعه، وكان يقرأه وهو قاضي القضاة على بعض القراء[١] بدمشق، فكان يجلس بين يديه وهو قاضي القضاة بجامع دمشق كما يجلس التلميذ بين يدي الأستاذ، ثم إنه رغب عن القضاء ومال إلى الزهد والانقطاع، وطلب من الملك الأشرف الإقالة من القضاء، وأن يأذن له في الحج، فأجابه إلى ذلك[٢]، وحج إلى بيت الله الحرام[٣]، ثم إنه ولي القضاء بعد ذلك مرة ثانية[٤]، فبقي قاضيا بها، ومرض مرضة بحمى السل، وتوفي بدمشق في سنة سبع وثلاثين وستمائة. وكنت إذ ذاك رسولا بمصر فبلغتني وفاته وأنا بها، وكان بيني وبينه اجتماع ومخالطة بحلب ودمشق، وسمع معي بحلب الحديث[٥] .

ومن مناقبه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه أوّل قاضٍ رتَّبَ مراكزَ الشّهود بدمشق وكان قبل ذلك يذهب الناس إلى بيوت العُدول يُشهِّدونهم[٦]، وقد مات مديوناً مما يدل على كرمه وزهده في الدنيا وتقلله منها، وقد اجتمع عليه الفقر مع القناعة ومن لطيف قوله في

(١) وهو محمود الضَّرير؛ كما في مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي (٢٢/ ٣٦٧).

(٢) وهذا في سنة (٦٢٩هـ)، كما في ذيل الروضتين، لأبي شامة (ص ٢٤٤). وفي هذه السنة يقول صاحب مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي (٢٢/ ٣١٦): «وولّى الأشرفُ القاضي عماد الدين عبد الكريم بن الحَرَسْتاني في قضاء القضاة بدمشق... ».

(٣) للأسف لم أجد في شيء من المصادر عن رحلة حجه ولا أخبارها!

(٤) في المقفى الكبير، للمقريزي (٥/ ٩٥) : «وتوجّه إلى الحجّ. ثمّ بعثه الأشرف في رسالة إلى سلطان الروم في سنة أربع وثلاثين وستّمائة، وأعيد إلى القضاء في سابع ذي القعدة سنة خمس وثلاث».

– فتكون ولايته الأولى للقضاء من سنة٦٢٣هـ – ٦٢٩هـ تقريباً، مرت بثلاثة ملوك: الملك المعظم– الملك الناصر– الملك الأشرف.

– وولايته الثانية للقضاء من سنة ٦٣٥هـ – ٦٣٧هـ، مرت أيضاً بثلاثة ملوك: الملك الجواد – الملك الصالح أيوب– الملك الصالح إسماعيل.

(٥) بغية الطلب، لابن العديم (٢/ ٧٣٤-٧٣٥).

(٦) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (٤٦/ ٢١)، ونزهة الأنام، لابن دقماق (ص ٩١).

هذا يقول: ما أقدر على إمساك المناصب![1]. وفيه يقول شهاب الدين أبو شامة وقد وقف على مصنف له في العروض بخطه فأعجبه:

أَحْمَـــدُ بـــنُ الخليـــلِ أرْشَـــدَهُ اللهُ لـــما أرْشَـــدَ الخليـــلَ بـــنَ أَحْمَـــد

ذاكَ مُسْـــتَخرِجُ العَـــروضِ وَهَـــذَا مُظْهِـرُ السّـرِّ منـهُ والعَـودُ أَحْمَـد[2]

رابعًا: ثناء العلماء عليه[3]:

- **يقول سبط ابن الجوزي**(ت:٦٥٤هـ): وكان متواضعًا، يمضي إِلَى جامع دمشق، ويجلس بين يدي محمود الضَّرير عند مقصورة الخطابة، فيقرأ عليه القرآن، ومات مديونًا.[4]
- **ويقول ابن العديم** (ت:٦٦٠هـ): وكان حسن العشرة، حلو العبارة في بحثه، موفقا في أحكامه، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يراعي في أحكامه ذا سلطان لسلطانه ولا ذا جاه لجاهه، بل يجري على سنن الحق وطريق العدل[5].
- **ويقول ابن أبي أصيبعة** (ت: ٦٦٨هـ): كان أوحد زمانه في العلوم الحكمية، وعلامة وقته في الأمور الشرعية، عارفا بأصول الطب وغيره من أجزاء الحكمة، عاقلا كثير الحياء، حسن الصورة كريم النفس، محبا لفعل الخير، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ملازما

(١) انظر: ذيل الروضتين، لأبي شامة (ص ٢٦٠) .

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) اقتصرت على كلام اثنين من أقرانه وأحد طلابه؛ وإلا الكلام في هذا حافل وفيه طول، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٦/ ٣١٩)، تاريخ الإسلام، للذهبي (٤٦/ ٣١٥)، مسالك الأبصار، للعمري (٩/ ١٥٧)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٨/ ١٦)، البداية والنهاية، لابن كثير (١٧/ ٢٤٩)، طبقات الشافعيين، لابن كثير(ص: ٨٢٩)، نزهة الأنام، لابن دقماق، (ص:١٢٠)، شذرات الذهب، لابن العماد (٧/ ٧٣٩).

(٤) مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي (٢٢/ ٣٦٧).

(٥) بغية الطلب، لابن العديم (٢/ ٧٣٥).

للصلاة والصيام وقراءة القرآن -إلى أن قال- وكان حسن العبارة قوي البراعة فصيح اللسان بليغ البيان وافر المروة كثير الفتوة [١].

خامسًا: شيوخه وتلاميذه.

- **شيوخه:**

١. ركن الدّين العراقي، بن محمد بن العراقي القزوينيّ الطّاووسيّ(ت٦٠٠هـ)[٢].

٢. الإمام، فخر الدين الرازي، محمد بن عمر التيمي البكري (ت:٦٠٦هـ) [٣].

٣. مهذب الدّين الحكيم، أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هُبل(ت:٦١٠هـ)[٤].

٤. المُؤيَّد بن محمد الطوسي النيسابوري(ت٦١٧هـ)[٥].

٥. الحكيم، المعروف بالقُطب المصريّ، إبراهيم بن علي السُّلميّ(ت٦١٨هـ)[٦].

٦. شيخ الشافعية، عبد الكريم بن محمد الرافعي(ت ٦٢٣هـ)[٧].

٧. الإمام المحدث الزاهد، عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي الحلبي، المعروف بابن الأستاذ (ت:٦٢٣هـ)[٨].

---

(١) عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة (ص: ٦٤٦).

(٢) انظر: التدوين في أخبار قزوين، للقزويني (٣/ ٣٠٨)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان (٣/ ٢٥٨).

(٣) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٤/ ٢٤٨)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٨/ ٨١).

ويجاب عن الإشكال الذي أورده بعض من ترجم للمؤلف بعدم قراءته على الفخر الرازي من ثلاث:

١. ما سبق في مبحث النشأة وتصريح المؤلف بذلك في كتابه السفينة النوحية.

٢. تصريحه في كتابه هذا بالسماع منه في مواضع متفرقة، كما في: (٧٤/ ب)، (١٣٧/ ب).

٣. ما حكاه تلميذه ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء، في أكثر من موضع كما في: (ص:٦٤٦) (ص: ٤٦٢).

(٤) انظر: قلائد الجمان، لأبي البركات (٣/ ٢٩٦)، عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة (ص: ٤٠٧).

(٥) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لابن نقطة (ص: ٤٥٦)، تاريخ الإسلام، للذهبي (٤٤/ ٣٨٣).

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٨/ ١٢١)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٢/ ٥٠).

(٧) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٨/ ٢٨١)، وطبقات الشافعيين، لابن كثير(ص ٨١٤).

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٢/ ٣٠٣)، طبقات الشافعيين، لابن كثير (ص ٨١٤).

٨. مسند الشام والفقيه الكبير، سراج الدين، الحسين بن المبارك بن محمد الربعي الزبيدي الحنبلي(ت:٦٣١هـ)[١].

٩. القاضي أبي المحاسن، يوسف بن رافع بن تميم الأسديُّ، المعروف بابن شدَّاد (ت:٦٣٢هـ)[٢].

١٠. المسند الأمين والكاتب، أحد شهود الخزانة بدمشق، أبو صادق، الحسن بن يحيى بن صباح المخزومي المصري(ت:٦٣٢هـ)[٣].

١١. القاضي زين الدين، عبد الله بن عبد الرحمن بن علوان بن رافع الأسدي (ت: ٦٣٥هـ) [٤].

- **تلاميذه:**

١. عز الدين الحافظ، أبو الفتح، عمر بن محمد بن منصور الأميني الدمشقي، (ت:٦٣٠هـ)[٥].

٢. تاج الدّين، الإمام المحدث، أبو الحسن، محمد بن أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي(ت: ٦٤٣ هـ)[٦].

٣. معين الدين، المحدث، أبو إسحاق، إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي الدمشقي (ت: ٦٦٣ هـ)[٧].

---

(١) انظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لابن نقطة (ص٢٤٣)، سير أعلام النبلاء، للذهبي(٢٢/ ٣٥٧).

(٢) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان(٧/ ٨٤)، معرفة القراء الكبار، للذهبي(ص ٣٣٤).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (١٢/ ١٨٩)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٢/ ٣٧٢).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي(٤٦/ ٢٣٩)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي(٨/ ١٥٥).

(٥) انظر: طبقات علماء الحديث، للصالحي (٤/ ٢٤١)، تذكرة الحفاظ، للذهبي (٤/ ١٦٤).

(٦) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٤٦٧)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (٨/ ١٦).

(٧) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي(١٥/ ٨٢)، تذكرة الحفاظ، للذهبي (٤/ ١٦٠).

٤. موفق الدين، ابن أبي أصيبعة، الطبيب الشاعر، أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (ت: ٦٦٨هـ)[١].

٥. جمال الدين، المعروف بابن الصابونيّ، محمد بن عليّ بن محمود بن الدمشقيّ المحموديّ الشافعيّ (ت:٦٨٠ هـ)[٢].

٦. ولده شهاب الدّين، قاضي القضاة، أبو عبد الله، محمّد بن أحمد، وقد توفي والده وله إحدى عشرة سنة، (ت:٦٩٣هـ)[٣].

سادسًا: مصنفاته:

وصفت المصادر تصانيفه بالكثرة والجودة[٤] والذي وقفت عليه منها:

١. تفسير سورة الفاتحة[٥].

٢. تفسير سورة الإخلاص[٦].

٣. تفسير سورة العنكبوت[٧].

---

(١) يقول في كتابه عيون الأنباء (ص ٦٤٦): «وكنت أتردد إليه، وقرأت عليه التبصرة لابن سهلان». وانظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٧/ ١٩٣).

(٢) يقول في كتابه تكملة إكمال الإكمال (ص ٤١): «سمعت منه وقرأت عليه الفقه». وانظر: المقفى الكبير، للمقريزي (٦/ ١٩١).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٢/ ٩٧)، والمقفى الكبير، للمقريزي(٥/ ٩٤).

(٤) انظر: بغية الطلب، لابن العديم (٢/ ٧٣٦). وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي(٨/ ١٧). ووصفها تلميذه ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء(ص ٦٤٦) بقوله: «وله تصانيف لا مزيد عليها في الجودة».

(٥) مخطوط، في متحف مولانا (قونية/ تركيا)، رقم: ٣/ ٢٧٩-٢٨٠(مجموعة) ٨٢/أ .انظر: الفهرس الشامل للتراث (التفسير وعلومه) (١/ ٢٤٥). وقد اطلع عليه د. محمد إبراهيم أشقر، وأخبرني أنه لسورة الفتح وأنه لغير المؤلف!

(٦) مخطوط، في الخزانة التيمورية (مصر)، رقم: (١/ ٧٧)، (مجاميع: ١٦٦)، (ص١٣١). انظر: المرجع السابق. ويعمل على تحقيقه الأخ والزميل د. محمد أشقر، صاحب الفضل في الدلالة على هذا الكتاب، جزاه الله عنا خيرًا.

(٧) مخطوط، في أصغر مهدوي (طهران)، رقم: ٢/ ١٩٦٢/ ١٧١(٣٩٨)، ضمن نسخة من مفاتيح الغيب للرازي. انظر: المرجع السابق. وهي مكتبة خاصة وهناك صعوبة في الوصول إليها، والاطلاع عليه يخدم أيضا مسألة من أتم تفسير الرازي ومن أين؟

٤. وكتاب في الفرائض وتعليلها وبيان الحكمة في مقاديرها[١].

٥. عرائس النفائس[٢].

٦. شرح كتاب الإرشاد[٣].

٧. تتمة تفسير القرآن لشيخه فخر الدين الرازي[٤].

٨. ينابيع العلوم في الفنون السبعة التفسير والحديث والفقه والأدب والطب والهندسة والحساب[٥].

٩. كتاب في علم الأصول[٦].

١٠. كتاب في النحو[٧].

١١. كتاب يشتمل على رموز حكمية على ألقاب السلطان الملك المعظم صنفه للملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب[٨].

١٢. السفينة النوحية[٩].

---

(١) هكذا ذكره ابن العديم في بغية الطلب (٢/ ٧٣٤)، ولم أجده، ويظهر أنه في عداد المفقود.

(٢) وهو مختصر لكتاب (النفائس) لركن الدين، محمد بن محمد العميدي. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة (٢/ ١٩٦٦)، الفوائد البهية، للكنوي (ص: ٢٠٠).

(٣) وهو أيضاً للعميدي. وهو مخطوط في المتحف الاسيوي في روسيا، رقم الحفظ: (٨٤). انظر: خزانة التراث (٣٥/ ٢٦٨).

(٤) نص على هذا غير واحد، منهم: تلميذه ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء (ص٦٤٧).

(٥) وهذا البحث جزء من هذا الكتاب.

(٦) هكذا ذكره في عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة (ص ٦٤٧).

(٧) انظر: المرجع السابق.

(٨) انظر: المرجع السابق.

(٩) وهو الكتاب الوحيد الذي طبع للمؤلف، بعناية محمد راغب الطباخ سنة ١٣٤٧هـ، ثم طبع طبعة ثانية في دار المقتبس، سنة ١٤٣٥هـ. ولم يتكلم عن المؤلف واكتفى عن ذلك بأمرين:

الأول: ما نقله عن السبكي في ترجمته، وفي النسخة التي اعتمدها خطأ في ذكر وفاته حيث ذكر أنها سنة ٦٨٧هـ.

الثاني : ما ذكره المؤلف عن نفسه ونشأته في آخر الكتاب.

سابعا: وفاته:

كانت وفاته بعد صلاة ظهر يوم السبت السابع من شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائة بدمشق(١)، عن أربع وخمسين سنة، وكان قد تيقن الموت(٢) لأنه علق به مرض السُّل، وحمَّى الدِّقِّ(٣) ،وكانت جنازته حَفِلَةً مشهودة، ودفن من الغد بسفح قَاسِيُون(٤) رَحِمَهُ اللَّهُ.

- وقد نسب للمؤلف بعض الكتب خطأ وهي ليست له، وهي:

١. الروض البسام فيمن ولي قضاء الشام. كما في كشف الظنون (١/ ٩١٨)، وهدية العارفين (١/ ٩٣).

٢. أخبار الأخيار بما وجد على القبور من الأشعار. كما في إيضاح المكنون (٣/ ٣٩)، هدية العارفين (١/ ٩٣).

٣. الروض الباسم في أخبار من مضى من العوالم. كما في إيضاح المكنون(٣/ ٥٨٨)، وهدية العارفين (١/ ٩٣).

٤. اللوامع المضيئة من الأربعين البدرية في الحديث. كما في هدية العارفين (١/ ٩٣) .

٥. النجوم الزواهر في معرفة الأواخر في التاريخ. كما في هدية العارفين (١/ ٩٣) .

قلت: وجميع هذه الكتب لأحمد بن خليل بن أحمد، أبو العباس ابن اللبودي (ت٨٩٦هـ)، ولم يذكرها أحد للمؤلف غير هذه الكتب التي تنقل من بعض ويكثر فيها الخطأ. ينظر: الأعلام، للزركلي (١/ ١٢١) .

(١) يقول أبو شامة: «حضرت دفنه والصلاة عليه». ذيل الروضتين (ص٢٦٠).

(٢) في المقفى الكبير، للمقريزي(٥/ ٩٥): «وجعل وصيّته على ولده محمّد وأختيه مؤمنة وخديجة إلى الشيخ عزّ الدين ابن عبد السلام».

(٣) هي حُمَّى معاودة يوميًّا، تَصحب السُّلَّ الحادّ غالبًا. معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٥٨). وفي كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ٩٦٤): وقال القرشي في شرح الفصول: «يقال السّلّ لحمى الدق الشيخوخية ولقرحة الرئة». وللاستزادة في معرفة العلاج والعلامات لها ينظر: الحاوي في الطب، للرازي (٤/ ٤٤٣)، القانون في الطب، لابن سينا (٣/ ٨١).

(٤) هو الجبل المشرف على مدينة دمشق وفيه عدّة مغاور وآثار، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح. معجم البلدان، للحموي (٤/ ٢٩٥) .

المطلب الثاني: دراسة الكتاب: وفيه:

أولاً: تحقيق اسم الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلف.

♦ **تحقيق اسم الكتاب:**

لم يصرح المؤلف باسم الكتاب في كتابه هذا ولا غيره، فيبقى:

أ. ما ذكره أهل العلم كما: في فيض القدير[١]، وكشف الظنون[٢]، ومعجم المؤلفين[٣]، هدية العارفين[٤]، سموه: (ينابع العلوم).

ب. ما كتب على طُرَّة النُسخ:

١. النسخة الأصل: (ينابيع العلوم)، وكتب في حاشية طُرة النسخة: ورأيت في بعض نُسخ هذا الكتاب أنه مسمى: بأقاليم التعاليم، فليُعلم!

٢. نسخة الشهيد علي باشا: (أقاليم التعاليم)، وفي أعلى اللوحة كتب: ينابيع العلوم: لقاضي القضاة شمس الدين...كشف الظنون.

٣. النسخة الخديوية : (إقليم التعاليم).

٤. النسخة الباريسية: (أقاليم التعاليم).

٥. النسخة المغربية: (ينابيع العلوم).

والذي يظهر لي بعد هذا، أن للكتاب اسمين كلاهما مشتق من مادة الكتاب ومحتواه.

♦ **توثيق نسبته للمؤلف:**

نسبة المخطوط إلى المؤلف نسبة صحيحة، وتحقيق ذلك بأمور:

١. ما كُتب على طرة جميع النسخ بلا اختلاف.

٢. بعض المصادر التي ترجمت للمؤلف ذكرته من مؤلفاته.

---

(١) انظر: فيض القدير، للمناوي (٤/ ٤٣)، وفيه تصحيف (الخويي) إلى (الجويني).

(٢) انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة (٢/ ٢٠٥١) .

(٣) انظر: معجم المؤلفين، لكحالة (١/ ٢١٦).

(٤) انظر: هدية العارفين، للبغدادي (١/ ١٠٥) .

٣. نسبته للمؤلف في عدد من فهارس الكتب والمخطوطات.

٤. ذكره لشيوخه في غير موضع من هذا الكتاب، وكذا والده[١].

٥. نقل غير واحد من العلماء عنه من خلال هذا الكتاب كالزركشي[٢] والسيوطي[٣].

٦. يُجاب عن من نسبه لابنه شهاب الدين[٤] بأمور نكتفي بواحدة منها، وهي أن فراغ المؤلف من تأليف هذا الكتاب كما هو مقيد في غالب نسخه سنة(٦٣٠هـ)، وسنة ولادة ابنه في(٦٢٦هـ)، فهل يمكن أن يؤلفه الابن وهو ابن أربع سنين!.

ثانياً: منهج المؤلف في كتابه من خلال الجزء المحقق.

جمع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه فنوناً سبعة، وهي: التفسير، والحديث، والفقه، والأدب، والطب، والهندسة، والحساب، يذكر في كل فن سبع لطائف.

وابتدأ كتابه بالتفسير واقتصر فيه على تفسير سبع سور وهي: الفاتحة، والضحى، والشرح، والكوثر، والإخلاص، والفلق، والناس، يذكر في كل سورة سبعًا وسبعًا، سبع لطائف علمية حكمية، وسبع لطائف من قبيل المُلح.

ومن خلال النظر في هذ الجزء المحقق يمكن إجمال منهجه في هذه النقاط:

١. التزم باللطائف السبع الأولى الحكمية، ثم يعقبها بسبع لطائف مستملحة، وقد يحتاج أن يزيد على السبع فيعبر عنها بـ(أخرى).

---

(١) كما في: (٧١/ ب)، (٨٣/ ب)، (١٣٧/ ب).

(٢) في البرهان (١/ ٤٣٩) : «وقال القاضي شمس الدين الخويي: كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين وهل يجوز» وهو موجود في: اللوحة ٩/ أ.

(٣) في معترك الأقران (٣/ ٤٨٨): «قال الخويي: لا يكاد اللغويون يفرقون بينهما». وهو موجود في: اللوحة ٣٦/ أ.

(٤) كما في كشف الظنون، لحاجي خليفة (٢/ ١٧٥٦)، والأعلام، للزركلي (٥/ ٣٢٤)، وهدية العارفين، لكحالة (٢/ ١٣٧)، خزانة التراث (٣٦/ ٩٧٣)، في آخرين.

٢. غلب على تفسيره جانب الاستنباط والتأمل أكثر من غيره.

٣. تفنن وأبدع في عرض المسائل وحصرها وتقسيمها.

٤. نقل عن من سبقه مع عدم التزامه بلفظ المنقول عنه، كما في نقله عن الزمخشري في خمسة مواضع بمعنى ما قاله دون لفظه.

٥. أعطى الجانب البلاغي واللغوي اهتماما كبيرًا.

٦. اعتنى بتفسير القرآن بالقرآن، وربط معاني الآيات ببعضها.

٧. أكثر من أسلوب الفنقلة، وهو أسلوب تعليمي محفز.

٨. يسرد الأقوال التفسيرية دون عزوها.

٩. يسوق الوجوه التفسيرية للآية، ثم يتعقب كل وجه مبينًا ما يليق بظاهر تفسير الآية، وما يقربها منها، وما يبعد.

١٠. قد يجعل من بين اللطائف المستملحة ما حقه أن يكون من اللطائف الحكمية.

ثالثا: وصف النسخ الخطية، ونماذج مصورة منها[١].

أولاً: وصف النسخ وهي:

١. نسخة: مكتبة راغب باشا.

- رقمها: ١٢٢٣.
- الناسخ: حسن بن عبد الرحمن بن يحيى الحسيني .

(١) هناك نُسخ أخرى للكتاب؛ لكن في ظني ما استطعت الحصول عليه فيه كفاية وزيادة، والحال مع هذه النسخ على حالين: الأول: إما أنها فهرست بالخطأ، ومن خلال الاطلاع عليها تبين أنه كتاب آخر، كما في نسخة دار الكتب المصرية، رقم الحفظ: (٦/ ١٨١). انظر: خزانة التراث (٣٦/ ٩٧٣) .الثاني: صعوبة الحصول عليها ومشقته، كما في نسخة مكتبة: أكاديمية ليدن في هولندا، مدينة (ليدن)، رقم الحفظ: (٤). وقد نسبت للابن أيضا، وقيدت بتاريخ وفاة الأب!. انظر: المرجع السابق.

- تاريخ النسخ: سنة ٦٧٣هـ.
- مسطرتها: ٢١ سطرا.
- الخط: نسْخي واضح جدا مضبوط بالحركات أحياناً، والعناوين مكتوبة باللون الأحمر.
- عدد الألواح: ١٢٦ لوحة.
- بيانات الجزء: المحقق: واضح غاية الوضوح، فيها أربعة مواضع مصححة .

وقد جعلتها النسخة الأصل لهذا البحث(الأم)، وذلك لعدة أسباب منها:

١. تقدم تاريخ نسخها.

٢. أنها مخطوطة خزائنية مملوكية نادرة كتبت برسم الخزانة السعيدة الأجلية الأقصوية البدرية.

٣. كثرة التعليقات عليها.

٤. كثرة التملكات عليها مما يدل على الاهتمام بها وتقدمها على غيرها:

أ. تملّك أبي بكر رستم بن أحمد الشرواني.

ب. تملُّك أبي الخير أحمد .

ج. تملُّك حسن بن عبد المحسن سنة ٩٨٠هـ.

د. تملُّك عبد الباقي.

هـ. تملُّك محمد بن إبراهيم المقري بالشراء سنة ٨٩٢ هـ.

و. تملُّك أحمد بن محمد الحزمي سنة ٨٩٧ هـ.

٢. نسخة: مكتبة الشهيد علي باشا.

- رقمها: ٥٠ .
- الناسخ: إبراهيم بن محمد الحلبي.

- تاريخ النسخ: ٧٣٢ هـ.
- مسطرتها: ٢١سطرا.
- الخط: نسْخي واضح في الغالب، مضبوط بالحركات غالباً، والعناوين مكتوبة باللون الأحمر.
- عدد اللوحات: ١١٩ لوحة.
- بيانات الجزء: المحقق: خط واضح، مشكل الكلمات في الغالب، كلمة واحدة مصححة.
- عليها تملك: في القرن الحادي عشر.
- ويوجد عليها مقابلة .
- رمزت لها بـ(ت).

٣. نسخة: المكتبة الخديوية.

- رقمها: ٣٨٣ .
- الناسخ: غير معروف.
- تاريخ النسخ: ٧٤٦هـ.
- مسطرتها: ٢٣سطرا.
- الخط: نسْخي واضح في الغالب، غير مضبوطة بالشكل في الغالب، مع رداءة في التصوير.
- عدد اللوحات: ١٧٥ لوحة.
- بيانات الجزء: المحقق: خط واضح، وست تصحيحات، وتعليقين بخط مغاير.
- عليها تملكات لم أستطع قراءتها.
- تعد مخطوطة خزائنية: كتبت برسم الخزانة الشريفة العالية القضائية، مالكها قاضي القضاة تقي الدين الحنفي .

- قوبلت مرتين .
- رمزت لها بـ (خ).

٤. نسخة: الخزانة العامة المغربية.

- رقمها: ٤٣٣ .
- الناسخ: مأمون بن محمد بن مأمون.
- تاريخ النسخ: سنة ٧٠٧ هـ.
- مسطرتها: ٢٣ سطراً.
- الخط: نسْخي فيه رداءة، غير مضبوطة بالشكل في الغالب، والعناوين مكتوبة باللون الأحمر.
- اللوحات: ١٢٧ لوحة.
- بيانات الجزء: المحقق: خطه لا بأس به، كلمة واحدة فقط مصححة.
- عليها تملكات ومطالعة بدون تاريخ .
- رمزت لها بـ(غ).

٥.النسخة الخامسة: الباريسيّة.

- رقمها: ٢٣٢١ .
- الناسخ: خليل بن أبوبكر بن محمد بن يوسف الحسني الشافعي.
- تاريخ النسخ:٨/ ١/ ٨١٤هـ.
- مسطرتها: ١٩ سطراً.
- الخط: نسْخي كبير جيد، غير مضبوطة بالشكل في الغالب، غير ملونة.
- قابلها ناسخها: ٢٣/ ١/ ٨١٤هـ.
- بيانات الجزء: المحقق: خطه لا بأس به وفيه صعوبة في قراءته، رداءة في التصوير، وفيه ست كلمات مصححة، وسبع كلمات كتبها مرة ثانية في الحاشية

لتأكيد رسم الكلمة، مما يدل على أن دقة الناسخ عالية، ومرة يرسم رمز الحرف أعلى حرف الكلمة إذا ظن اللبس على القارئ.

- تملك في القرن الحادي عشر.
- وعليها مطالعة.
- رمزت لها بـ(ب).

ثانيـاً: نمـاذج مصـورة منهـا:

النسخة الأصل

نسخة الشهيد علي باشا ورمزها (ت)

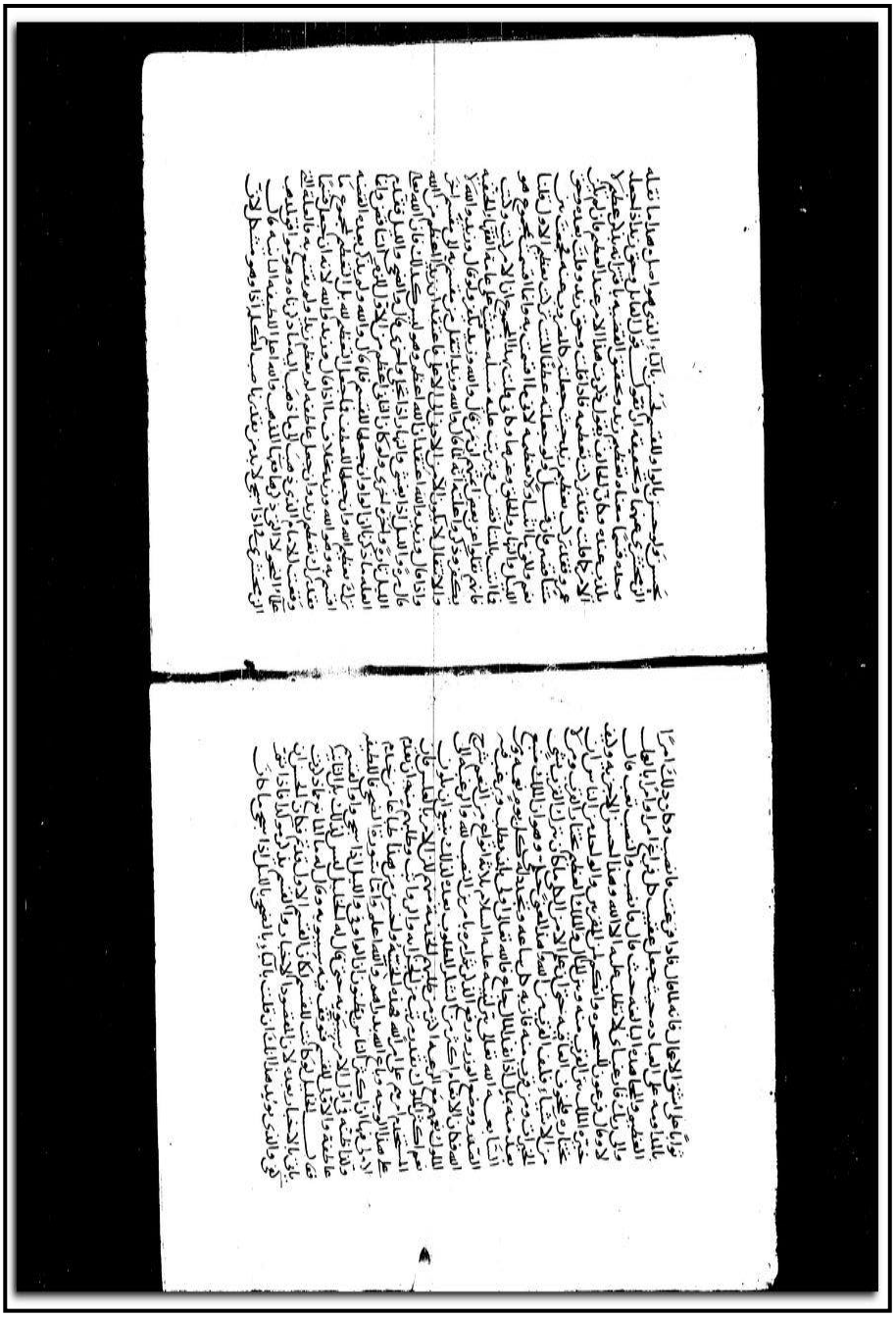

النسخة الخديوية ورمزها (خ)

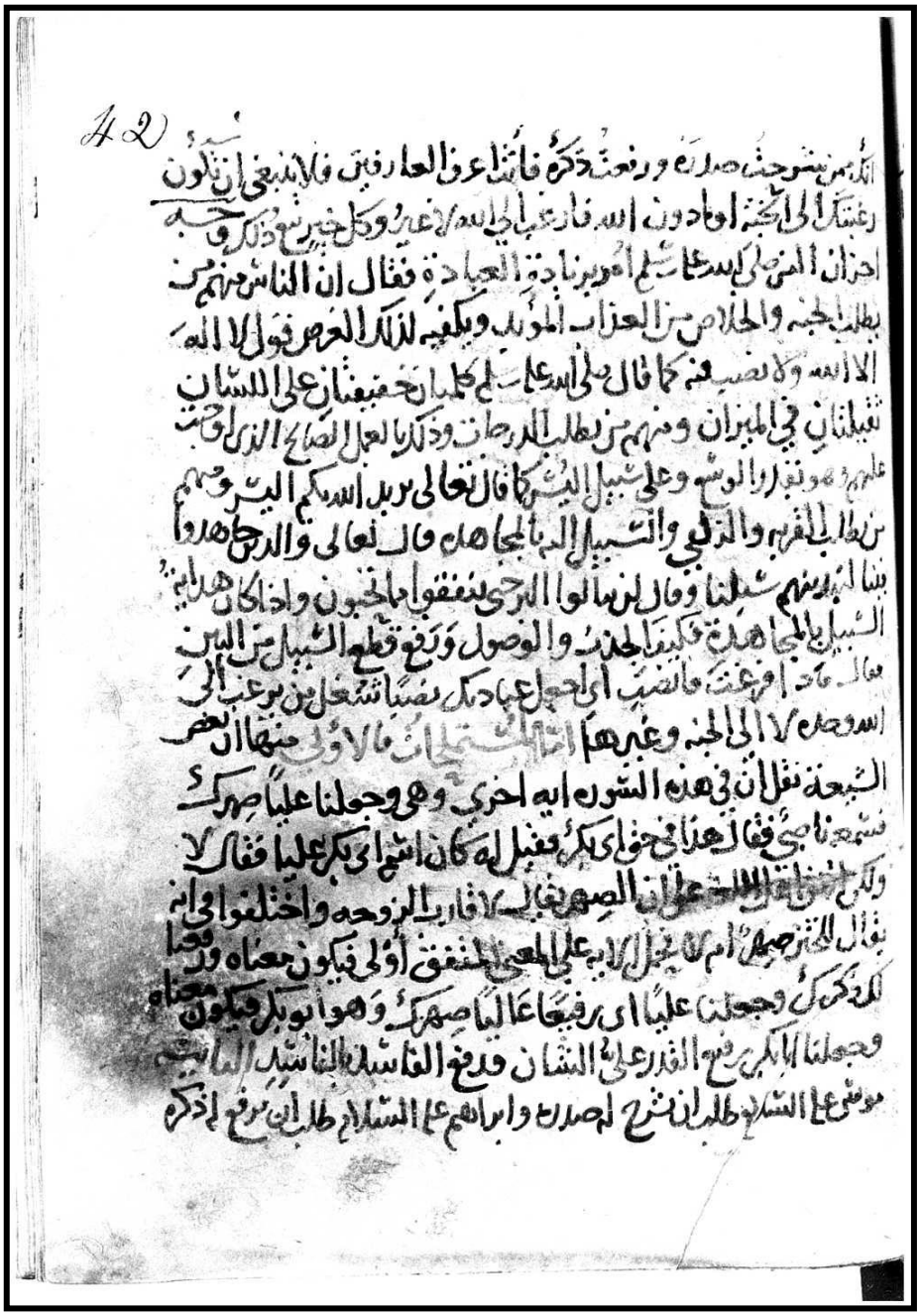

النسخة الباريسية ورمزها (ب)

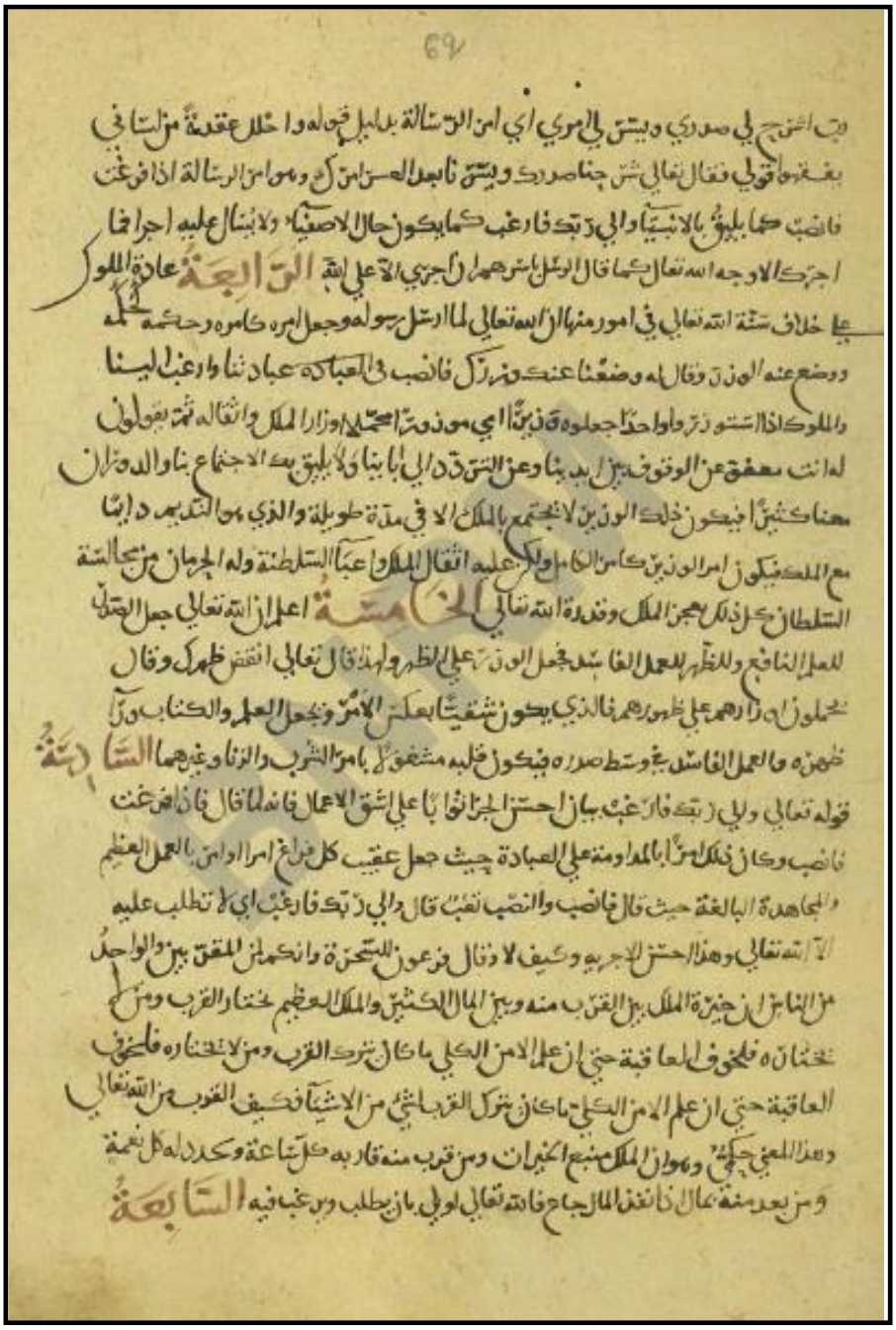

النسخة المغربية ورمزها (غ)

المبحث الثاني (النص المحقق)

وهو سورة الشرح من اللوحة (٤١/ب) إلى اللوحة (٤٨/ب)

وَأَمَّا سُورة أَلَمْ نشرح

فاللطيفة الأولى فيها: أنه قال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [سورة الشرح]، وقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥﴾ [سورة طه]، وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ [الزمر:٢٢]، ولم يقل: أفمن شرح الله له صَدْرهُ، ولا اكتفى هَاهُنا بأن يقول: ألم نشرح صدرك، بغير اللام الجارة والضمير، نقول: فيه **وجهان**:

أحدهما: مَا ذكره الزمخشري أنهُ قالَ: أولاً ربّ اشرحْ لي، ثم خصّ المشروح، وقال: صدري، فيكون كأنه أعاد الشرح مرتين، وقال: اشرح لي، وقال: اشرحْ صَدري[(١)]. (٤١/ب). فيكون طَلب الشرح آكد، وكذلك ألم نشْرح لك ذكرهُ مِنهَا[(٢)] ثم فصّله وبيّنه فيكون بياناً للشرح على أبلغ الوجوه، حيث أشارَ إليه مرتين مرة صريحًا مجملاً، وأخرى مضمراً مبينًا، وهو كقول القائل: أنعم عليّ أعطني مَالاً، أو قريبٌ مِنه.

وثانيهما: أن نقول: الأنبياء عليهم السَّلام يفتح الله عليهم أبواب العلوم بأجمعها ولا يُخْفِي عنهم شيئًا، والأمة كل منهم يختص بعلمٍ أو عُلوم متعدّدة، ولهذا ورد في دعاء النبيّ عليه السلام: أرنا الأشيَاء كما هي[(٣)]. وإذا كان كذلك نقول: قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥﴾ [سورة طه]؛ انشراحًا يصلح لي؛ وهو كقول القائل: هيئ لي دارًا أسكنها، ولو قَال هيئ دَارًا أسكنها، كان المعنى يحصل؛ لكن لما قال: هيئ لي؛ نبه بقوله: لي؛ أن الدار ينبغي أن تكون صالحة، وكذلك[(٤)] للسلطان منزلاً

---

(١) لم أجد قول الزمخشري في مطبوعات تفسيره؛ إلا أن يرد المؤلف حكاية معنى قوله. انظر: الكشاف (٤/ ٧٧١).

(٢) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: مُبهماً. وهو الصواب.

(٣) لم أقف على حديث مرفوع بهذا اللفظ، وقد ذكره أيضا فخر الدين الرازي في عدة مواضع من تفسيره على أنه حديث!

(٤) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: لو قلت هيئ.

ينزل فيه، وكذلك قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [سورة الشرح]؛ أنّ معناه: ألم نشرح لك صدرك انشراحاً يكون لك ولمثلك.

وكذلك القول في: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [سورة الشرح]، يقول الزمخشري ما قاله(١)، ونقول معناه: رفعنا ذكرك رفعة تكون لك وتليق بك، ويدل عليه أنه قال في حق المرسلين باللام التّي للاختصاص.

وقال في حقِّ غيرهما(٢): ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]؛ ولم يقل يشرح له؛ لأنّ قوله: يشرح صدره(٣) أبلغ من قوله: يشرح له؛ لأنّ اللام التي للاختصاص توجب نقصان الشرح؛ لأن الشّرح الذي يكون لعامة المسلمين يكون شرحًا غير بالغ، وإذا قال نشرح صدره كان إثباتا للشرح المطلق، وهو في الذكر خير مِنْ أن يُذْكَر شرحٌ مقيّدٌ بقيد يُضعفُه، وإذا قال في حقِّ الرسول؛ ﴿نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١]؛ كان لام الاختصاص يفيد كمال الشرح وقوته. (٤٢/ب) فكان ذلك كما لو قال قائل: أعطيته عطاءً كثيراً، وقال: أعطيته عطاءً قليلاً، وقال: أعطيته عطاء. فأعطيته عطاء أبلغ من أعطيته عطاء قليلاً، وأعطيته عطاء كثيراً أبلغ من أعطيته عطاء.

فإن قيل: ما معنى شرح الصدر؟

نقول فيه وجوه:

أحدها: شرح الصدر: تنوره(٤)، فإن النور ينتشر والظلمة كالمنقبض، ولهذا يُفرِق النور البصر ويجمعه الظلام، حتى يقال في: البياض لون مُفرِّق للبصر وللسواد لون جامع للبصر.

الثاني: شرح الصدر: توسيعه للعلوم بحيث لا يمتنع من الإدراك بسبب الهموم .

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٧٧٠) .

(٢) في: (ت)، (ب)،(غ): غيرهم.

(٣) في: (غ) زيادة : في هذا الموضع.

(٤) وهو قول الجمهور؛ كما حكاه أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ٤٩٩) وقال: «والأولى العموم لهذا ولغيره».

الثالث: شرح الصدر: كشفه؛ ومعناه: كأن الصدر يكون في كِنٍّ[(١)] لا تصل إليه المدركات، فإذا كشفه أزال عنه الأكنة فظهر الصدر فَوَصَل إليه الـمُدركاتُ، وكل ذلك مجازًا[(٢)] [(٣)].

أما تنوير الصدر فمعناه: جعل القلب ذكياً، فيكون الصدر عبارة: عما في الصدر، والتنوير عبارة: عن الذكاء، وأما التوسيع فمعناه: أن العلم كالشيء الموضوع في الصدر؛ فإذا كثر الـمَظْروف احتاج إلى ظرفٍ واسع، فقال: وسِّع صَدري؛ أي: كثِّر علومي؛ فهو كقوله: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، أو لأن الشيء إذا وسع لأمرين متباينين يكون واسعًا؛ كالدار التي يسكنها واحدًا ويخزن فيها أمتعة متنوعة، فكذلك القلب إذا كان بحيث يحتمل الهموم ويدرك معها العلوم ويتفكر في الآخرة، مع تدبير أمور الدنيا يكون واسعا، والأنبياء محتاجون إلى إصلاح أمور الدنيا، ولهذا وُضِعَت الشرائع على ألسنتهم، ومفتقرون إلى إصلاح جانب الآخرة وهو أهم.

وأمّا كشف الصدر: فهو إشارة إلى أصلٍ، وهو أنّ الإدراك ليس بذهاب القلب إلى المدركات، بل بورود المدركات على القلب، فالقلب كالساكن والمدرك كالسائر إليه، (٤٣/أ) وهذه[(٤)] إشارة إلى أن العلوم عطائية لا كسبية، وإنما كسب المرء تجريد[(٥)] الذهن، فإذا ورد على القلب مدركات من جانب الشرور انغمّ[(٦)] فيها فلا

(١) الكِنُّ هو: كلُّ شيءٍ وَقَى شيئاً فهو كِنُّه وكِنانُه، والفعل من ذلك كَنَنْتُ الشيء؛ أَي: جعلته في كِنٍّ، والكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ وِقاء كل شيءٍ وسِتْرُه. انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (٩/ ٣٣٤) (كن)، لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣٦٠) (كنن).

(٢) هكذا في الأصل، و(ت)، و(خ)، وفي (ب)، و(غ): مجازٌ، ولعله الصواب.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٢/ ٤٠).

(٤) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: وهذا .

(٥) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: تجريده .

(٦) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: انغمر.

يصل إليه الخيرات، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧]، وغير ذلك.

اللطيفة الثانية: ما معنى: وضع الوزر؟

نقول الوزر: الثقل، وفيه وجوه:

أحدها: الذنوب؛ فيكون كقوله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢].

ثانيها: الثقل الذي كان عليه بسبب كفر القوم؛ وهو كقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ [الكهف:٦]، وَوَضَعه بقوله: (وما عليك إلا البلاغ)، وقوله: (وما عليك أن لا يؤمنوا)[(١)]، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر:١٨]، هذان وجهان مشهوران فيه[(٢)]، **وعندي:** وجه ألطف منهما، وهو: أن السورة نزلت بعد تكامل حال النبي ﷺ، وهو في أول الأمر كان يصعب عليه أمر الوحي، حتى كان يخاف عند ظهور جبريل ﷺ، حتى قيل له: إن الله لا يخزيك[(٣)]، ثم صار بحيث كان يظهر عليه العرق وتحمرّ خدوده، ثم أنزلت السكينة عليه، فكان يأتيه جبريل ﷺ ولا يعلم به الحاضرون، وكان في أول الأمر عند الاشتغال بالوحي لا يدرك شيئا من أمور الدنيا، ويكون كالغائب بين الحاضرين، حاضرا مع الغائبين وهم الملأ الأعلى، ثم صار بحيث يسمع الوحي وهو مع أصحابه، في أمور الحرب والسِّلم وبيان الشرائع، لا يمنعه التدبير من استماع الوحي، ولا نزول الوحي من ترتيب أمور الدنيا، فصار صدره يسع للأمرين جميعا، فقال الله

(١) هكذا كتبت الآيتين وهو خطأ بلا ريب؛ وهو كذلك في جميع النسخ ! ولعل الآية الأولى: يريد قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ﴾ [الشورى: ٤٨]، أما الثانية: لم تبن لي.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٣)، النكت والعيون، للماوردي (٦/ ٢٩٦).

(٣) القائل: هي زوجه-عليه الصلاة والسلام- أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﵂. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، رقم: (٦٩٨٢).

تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [سورة الشرح]، وعند ذلك صار نزول جبريل عليه السلام كالأمر المعتاد الذي لا يُرعِد فرائصه ولا يزعج خاطره، فلم يبق الثِقل، فقال حين شد أَزْره أنّه (٤٣/ب) وضع وِزرَه؛ أي: هوّن عليه تحمل أعباء الرسالة والوحي، وعلى هذا ففي (الكاف)[١] ما قلنا في ﴿لَكَ﴾، فإنه لو قال: ووضعنا عنك الوزر، كان ذلك للمطلق، وإذا قال وزرك؛ أي: الوزر المختص بك، وهو الذي يكون لأفضل الرسل، فإن النبي عليه السلام أرسل إلى جميع العالم، ونزل عليه الوحي بكلام لا يمكن أن يُغيِّر منه حرفاً بخلاف غيره، فإنه أرسل إلى قوم وقيل له: اذكر لقومك كذا وكذا بأي عبارة شئت، وقيل: للنبي عليه السلام: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤].

فإن قيل: فهذا يُنْبِي عن كون غيره أفضل منه؛ لأن المِلك إذا فوض أمر قوم إلى شخص وقال: اذكر ما شئت يكون أكمل مما إذا قال له: ولا تقل لهم إلا ما سنقول لك؟!

نقول: لا؛ بل هو دليل على فضل النبي عليه السلام وفضيلة أمته.

أما النبي عليه السلام: فلأن من تقدمه إذا فُوض الأمر إليه ربما كان يَرِدُ عليه المنع مما قال، وأما النبي عليه السلام قيل له: لا تقل إلا ما يوحى إليك، فلا ينقض عليك حكم، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وأما فضيلة الأمة: فلأن الله تولى أمرهم بنفسه ووحيه، والله أعلم.

اللطيفة الثالثة: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [سورة الشرح]؛ معناه: ما تجده من أن كلمة الشهادة تُقرن بالشهادة بنبوة محمد عليه السلام في الأذان وغيرها[٢]، والحمد لله تقرن

(١) يريد: قوله تعالى: ﴿وِزْرَكَ﴾ [الشرح:٢].

(٢) في(خ)،(غ)،(ب): غيره.

بالصلاة على رسول الله في الخطب وغيرها، واللطيفة فيه: أن إبراهيم عليه السلام سأل الله أن يجعل له ذكر خير في الآخرين بقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [سورة الشعراء]، واستجاب[١] الله دعاه، وَذِكْر الصلاة على النبي عليه السلام مقروناً بها الصلاة على إبراهيم وآله في التشهد[٢] سُنة، وَرُفِعَ ذكر (٤٤/ أ) محمد عليه السلام وجوباً، فوجب الصلاة على محمد عليه السلام في التشهد واستحب لإبراهيم، وإبراهيم عليه السلام طلب ذكره في الآخرين، ومحمد عليه السلام ذُكِر في الآخرين وكُتِب في الأوّلين؛ كما قال: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وذِكر اسمه تنبيه على وصفه بكونه محمودًا.

وعلى ما ذكرنا فيه إشارة إلى مراتب العارفين، فإن العارف بالله إذا كَمُل لا يمنعه شيء من أمور الدنيا عن الاشتغال بالله والإقبال على الله، فإن النبي عليه السلام لما كمل كان له من النساء تسع، ومن الجواري عدد أكثر من الأربع، وكان له من الدواب ما ورد به الأخبار[٣]، وكان ذلك لا يمنعه من الإقبال على الله، وهو ينام وقلبه مع الله، وهذا مرتبة شرح الصدر.

واعلم أن بعض الكفرة أو الفسقة من الذين جلسوا في الخلوة، ولم يسعدهم الله بها، وسلط عليهم الشيطان، يدّعي هذه المرتبة، فيلبس الملابس الفاخرة، ويأكل الطيّب، ويترك المجاهدة، ويقول: إني واصل، وهو في الحقيقة واصل إلى الشيطان لا إلى الله، ولا تصح دعواه؛ إلا بأن يأتي بمثل ما أتى به رسولنا عليه السلام، من الطريقة الحسنة، وهو أنه مع ما ورد من الله في حقه كان يقوم حتى يتورّم[٤]، ويقول: «**أَفَلَا**

(١) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: فاستجاب .

(٢) في(غ) زيادة: التشهد الآخر.

(٣) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (٧/ ٢٧٨)، سبل الهدى والرشاد، للشامي (٧/ ٤٠٨).

(٤) وفي(ت)،(خ)،(ب):تتورم قدماه.

أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[(١)]، وهذا الجاهل لم يسمع من الله كلامًا في حقه، فكيف يدعي من جهله أنه قد وصل، والواصِل[(٢)] هو الذي لا يرى نفسه إلا بعيدًا ذليلاً خائفاً، كما يقول المخلصون على خطر عظيم، فمن ادّعى ذلك وجب قتله، إن بان كفره؛ وإلا لزم تعذيبه؛ إن أصر على ابتداعه.

ثم بعد ذلك مرتبة وضع الوزر، وهو أن يجمع بين جانب الله وجانب الخلق، يشهد له[(٣)] من غير مشقة فيقوم ولا يتعب ويشوش[(٤)] الخلق ولا يُخطي، فتصير العبادة له كالعادة لغيره، فلا يثقل عليه أمر(٤٤/ب) العبادة، ولا الفكر[(٥)] حتى يأتي على الأصلح، فكيف من يُشرِّع شرعًا دائمًا إلى قيام الساعة، لجميع أهل الشرق والغرب لا بل للإنس والجن، لولا أن الله كفى أمره بالوحي، وكان فوض إليه الأمور كان يثقل عليه غاية الثقل، فتكفل الله بيان الأحكام بنفسه، ووضع عنه الوزر. ثم إن العبد الصالح إذا انتهى إلى درجة[(٦)] ينشرح صدره ويوضع عنه وزره، يصير متبعًا، ويُنقَل من درجة الكمال إلى درجة التكميل، فيأمر الناس وينهى، ويكملهم، ثم إنه على قسمين: يأمرهم بأمور مقتصرة على حالة الأمر، ويقول صلوا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل حتى ترم قدماه، رقم: (١١٣٠).

(٢) الواصل عند الصوفية: هو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقينياً. انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، لعواجي (١ / ١٠٥).

(٣) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: بسهولة. ولعله الصواب لموافقة المعنى.

(٤) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: يسوس. ولعله الصواب لموافقة المعنى.

(٥) سقط في الأصل، وفي (ت)،(ب)،(خ): ولا الفكر في المصالح المعتادة، فإن العاقل إذا أراد إقامة مصلحة يَبِت متعب في الفكر؛ حتى يأتي على الأصلح. وفي (غ): ولا الفكر في المصالح المعتادة، فإن العاقل إذا أراد إقامة مصلحة تعب في الفكر؛ حتى يأتي على الأصلح.

(٦) هكذا في الأصل، و(خ)، ويوجد سقط في: (ت)،(غ)،(ب): إذا انتهى إلى درجة التكميل، فيأمر الناس وينهى، ويكملهم، ثم أنه على قسمين....وفي (غ): إذا انتهى إلى درجة التكميل، فيأمر الناس وينهى، ويكملهم، أنه على قسمين....

الليلة كذا ركعة، وصوموا اليوم الفلاني، ولا تأكلوا طعام فلان، ولا تذكروا فلانًا إلا بخير، فيكون شيخا كبيرًا، ومن يتبعه مُرِيدَه[(١)].

وقد يكون بحيث يضع أمرًا مستمرًا، وشرعًا مستقرًا، وهو نبي من الأنبياء، وكل من كان منهم؛ قومه أكثر، وشرعه[(٢)] أدوم؛ كان ذكره بينهم أكثر، والثناء عليه أتم، لكن النبي ﷺ لما أُرسل إلى الثقلين، ودام شرعه ما دام طلوع النَّيِّرَيْن، كان له ذكر لم يكن لأحد، فكان له كمال لم يكن لأحد.

وأعلم أن ما ذكرنا من درجة التكميل ليس كما يظنه جهال الفلاسفة من الاكتساب، فإن ذلك لا يحصل إلا بعطاء من الله، وكيف لا؟ ونحن نجد من يُذيب نفسه، ويجتهد حتى يعلم[(٣)] فناً من الفنون لا يعلمه، وآخر يتقنه في زمان يسير، فإذا كان الحكم في ذلك عطاءً؛ فما ظنك بالولاية فضلاً عن الرسالة؟! فلا رسول إلا من اختاره الله تعالى، وهو في أصلاب الآباء للنبوة، وخَتَم الرسالة بنبينا ﷺ، والحمد لله على ما هدانا، وجعلنا من أمته.

اللطيفة الرابعة: نُقل عن النبي ﷺ حين قرأ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [سورة الشرح]، أنه قال: «**لَنْ يَغلِب عُسر يُسرين**»[(٤)]. وذُكِر فيه وجهان:

---

(١) في كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي (٢/ ١٥١٤): «ويأتي عند أهل التّصوف بمعنيين:
أحدهما: بمعنى المحبّ أي السّالك المجذوب. **والثاني**: بمعنى المقتدي. والمقتدي هو الذي نوّر الله عين بصيرته بنور الهداية حتى ينظر دائما إلى نقصه فيسعى دائما إلى طلب الكمال، ولا يقرّ له قرار حتى يحصل على مراده والقرب من الحقّ سبحانه وتعالى».

(٢) في (ت)،(خ)،(ب): فشرعه. وغير موجودة الكلمة في (غ).

(٣) في (ت)،(غ)،(ب): من الفنون شيئا ولا يعلمه. وفي (خ): فناً من الفنون شيئاً ولا يعلمه.

(٤) الحديث مرسل، والذي صحت به الرواية عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب ﷺ موقوفا. انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٩٥)، والمستدرك، للحاكم (٢/ ٥٧٥).
وقال ابن حجر: «أخرجه عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن الحسن به مرسلاً، ومن طريقه أخرجه الحاكم، والبيهقي في الشعب، ورواه الطبري من طريق أبي ثور، عن معمر. وله طريق أخر أخرجه ابن مردويه من رواية عطية عن جابر موصولاً، وإسناده ضعيف». الكافي الشاف: (٤/ ١٨٦).

أحدهما: أن اليسر مُنَكْر(٤٥/أ) والعسر مُعَرف باللام، وإذا تكرر المعرف في الكلام يكون المراد به في الموضعين شيئًا واحدًا، وإذا تكرر المُنكر يكون المراد به شيئين؛ مثاله: إذا قلت جاءني رجل، يقال في الرجل، وقلت للرجل، ثم خرج الرجل، المراد من الرجل في المواضع كلها: شخص واحد. وإذا قلت جاءني رجل، فقلت لرجل افعل واصنع، فقال رجل: كيت وكيت، المراد من الرجل: في المواضع أشخاص متعددة. وإذا علمت هذا فإذا قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [سورة الشرح]؛ كان العسر واحدًا واليسر مختلفًا.

وثانيهما: ما ذكره الزمخشري أن التنكير للتكبير.[(١)]، يقول[(٢)] أن زيدًا رجل، ولفلان مال، أي: رجل كامل، ومال كبير، وإذا كان اليسر مُنكراً للتكبير يكون فيه أصل اليسر والزيادة عليه، فيصير كأنه يسران.

والأول ضعيف؛ لأن ناقل الحديث ابن مسعود[(٣)] وهو يقرأ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ [سورة الشرح]؛ من غير تكرير[(٤)]، ولأن الأئمة اتفقوا على أن الثاني تأكيد[(٥)]، وإذا قلتَ: رأيتُ رجلاً رأيتُ رجُلاً للتأكيد، لا يكون الثاني إلا عين الأول.

والأحسن أن يقال: إنه مستنبط من آية أخرى مع هذه الآية، وهي أن الله تعالى قال: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧]، ووعد الله مفعول، فبعد العسر يسر، وقال في هذه الآية: ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، والذي يكون بعد الشيء لا يكون معه، فإذًا بعد العسر يسر، ومعه يسر؛ فهما يسران!

---

(١) انظر: الكشاف ٤/ ٧٧٢.

(٢) في (ب)، (خ)، (ت): تقول.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره(٢/ ٣٠٩)، وانظر: أنيس الساري، لنبيل (٦/ ٤٤٦٣). والصواب: وقفه على ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) قراءة شاذة. انظر: مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه (ص١٧٥).

(٥) لو كان هناك اتفاق ما حصل خلاف كما قرره المؤلف، وكما سيأتي من قول المؤلف أن القول الثاني هو الأشهر. وفي هذا يقول ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٧): «وذهب كثير من العلماء إلى أن مع كل عسر يسرين بهذه الآية من حيث العسر معروف للعهد واليسر منكر، فالأول غير الثاني».

فإن قيل: المراد من المعيّة أن ذلك قريب لا يتأخر كثيراً تسلية، فيكون الذي قال فيه: إنه معه، هو الذي قال فيه: إنه بعده؟

نقول: لا. بل معه الأجر على الصبر؛ فإن انتظار الفرج بالصبر عبادة، والذي بعده الفرج، والعسر لا يغلب يسرين، الدَّرَجُ في الأخرى، والفَرَجُ في الأولى، وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]. (٤٥/ ب).

اللطيفة الخامسة: ما وجه اتصال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ [سورة الشرح]، بما تقدمه؟

نقول: قال الزمخشري: الكفار كانوا يعيرون رسول الله ﷺ وأصحابه بالفقر والضعف، فَذَكَرَهُم الله بِمالَه مع رسوله من النعم الجليلة، وقال: كما أنعم عليكم بهذه النعم، ينعم بالإيسار بعد الإعسار، والإغناء بعد الافتقار[(١)]، وعلى هذا القول يكون ما ذكره كسبب نزول السورة[(٢)] والوعد بالانتصار، ويكون ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ [الشرح:١]، تقديم المُصحِّح للوعد، وفيه وجه آخر أقوى منه؛ وهو أن نقول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح:١] توطئة الأمر بالشكر، وكأنه قال: أمَا فَعل الله معك ما فعل؛ فلا تكن فارغاً، بل كلما فرغت من عبادة ابدأ أُخرى، وسنبين ذلك في قوله:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [سورة الشرح]، ويكون ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ [سورة الشرح] ؛ ذكر سبب ما تقدم؛ وكأنه قال: فَعلَ معك ما فَعل؛ لأنك أتعبت نفسك لله، وتركت لذات الدنيا لله، فرفعنا ذكرك؛ لأن مع العسر يسراً.

فإن قيل: الفاء للتعقيب وما ذكره الزمخشري موافق له[(٣)]؛ لأنه يقول: أما فعلنا ما فعلنا فاعلم أنا نريك العسر، ونبدله باليسر؟

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٧٧١).

(٢) لم أجد رواية صريحة صحيحة في السببية. وفي لباب النقول، للسيوطي (ص٢١٣): «نزلت لما عير المشركون المسلمين بالفقر. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية إن مع العسر يسرا قال رسول الله ﷺ أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين».

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٧٧١).

نقول: التعليل بالفاء فيما يكون الشيء سبباً بوسائط في غاية الحسن، فإن القائل إذا قال: أحسن إلى الناس؛ فإن الله محسن، أو فإن الخير لا يضيع، كان حسناً، ولو قال: أحسن؛ لأن الله محسن، أو لأن الخير لا يضيع كان دونه، والأمر ها هنا كذلك؛ لأن رفع الذكر لم يكن بسبب ما تَعِب النبي ﷺ، فإن الله تعالى لا يعطي النبوة بالمجاهدة، لا بل الولاية لا يعطيها بها[1]، وإنما ذلك كان سبباً لزيادة درجة النبي ﷺ بعد ما اختاره الله، كما قال ﷺ: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[2]. فقال: رُفِع ذِكْرك، ونَرْفَع أكثر وأكثر، فإن(٤٦/أ) مع عسر عبادتك؛ يُسر حُسن الثناء عليك.

اللطيفة السادسة: ما الفائدة في إعادة ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٦]؟

نقول: فيه **وجهان:**

أحدهما: أنه تأكيد وهو الأشهر عند المفسرين، ويؤيده ما نقل أن بعض الصحابة قرأ مرة واحدة، ولم يكرر[3].

والثاني: وهو أن نقول أن ذلك لأمرين:

أما المرة الأولى: فذكرها؛ لأن النبي ﷺ أتى بالعبادة الحسنة فجزاه الله، فكان عسرُ عبادته مفيدًا لحُسن الثناء عليه. وقال: رفعنا لك ذكرك؛ لأنك تعبت، ومع العسر يسرًا، فيليق بالكرم أن نرفع ذكرك، ففعلنا ما فعلنا جزاءً لسعيك المشكور.

ثم قال: مرة أخرى ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [سورة الشرح]، فَتَحمّل العُسر في العبادة، وَتْرُك لذات الدنيا؛ تجد يُسر الدرجات في الدار الآخرة، ولهذا رَتب عليه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [سورة الشرح]؛ كأنه قال: إن مع العسر يسرًا؛ فَتَحمّل العسر

---

(١) في كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ نظر؛ لأن المجاهدة تدل على الإيمان والتقوى، وهما أساس الولاية؛ فالله يعطي الولاية بالمجاهدة. والله أعلم.

(٢) سبق تخريجه، (ص٥٨٦).

(٣) يريد: قراءة ابن مسعود السابقة. وقد نصر هذا الوجه ببراعة الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٣٠/ ٤١٥).

لليسر. وعلى هذا يكون (الفاء) في الموضعين لفائدتين مختلفتين: أمّا في: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾ [سورة الشرح]؛ للتعليل كما بينا، وأمّا في: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [سورة الشرح]؛ للترتب؛ كما نقول: السلطان يُكرم العلماء، فَتَعَلَّم. لا يكون قولك: فتعلّم؛ علة لما سبق من القول(١)، وفي قولك: السلطان يكرمُ العلماء، ونِعم ما يفعل؛ فإن العلم شريف. شرف العلم يكون سبباً للأول، فَعُلم أن الفاء على هذا لفائدتين جليلتين، وهذا في(٢) دقيق النظر، الحمد لله على الهداية، والعياذ به من الغواية.

اللطيفة السابعة: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [سورة الشرح]؛ فيه وجوه:

أحدها: أن ذلك لبيان سهولة أمر التكليف، وأن الله تعالى لم يكلف نفسًا إلا وسعها، فقال: إذا فرغت من ضرورات الدنيا وحوائجها؛ فانصب في العبادة.

ثانيها: أنه أمر بدوام العبادة؛ كما قال له: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [سورة الحجر]، ومعناه: أنك إذا فرغت من(٤٦/ ب) عبادة؛ اشرع في أخرى.

ثالثها: إذا فرغت مما كنت فيه من الهموم، وشرحنا صدرك، ووضعنا وزرك، ولم يبق لك هم، فانصب في العبادة.

والوجه الثالث: يليق بظاهر التفسير(٣)، وعلى هذا يكون (الفاء) في: ﴿فَإِذَا﴾ [الشرح:٧]؛ لترتيب العبادة على النعمة؛ أي: شرحنا لك صدرك فانصب؛ إذ لا مانع لك، وقد فرغت من الهموم؛ كما تقول: أزلت عذرك؛ فقم.

---

(١) تفردت(غ) بزيادة: بل إكرامه يكون سببا للتعليم.

(٢) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: من .

(٣) يقول الطبري في تفسيره (٢٤/ ٤٩٩): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن الله تعالى ذكره، أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان به مشتغلا، من أمر دنياه وآخرته، مما أدى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قربه إليه، ومسألته حاجاته، ولم يخصص بذلك حالًا من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه، من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشتغلا، لعموم الشرط في ذلك، من غير خصوص حال فراغ، دون حال أخرى».

والوجه الثاني: يليق بما ذكرنا، فإنه يقول إنّ مع العسر يسرًا؛ فكل مشقة لها ثواب، فإذا فرغت عن عبادة؛ فاشرع في أخرى، لتنال الدرجة التي لم ينلها أحد.

أما **الوجه الأول:** ففائدة (الفاء) هي: أنه تعالى لما بيَّن ما كان له[1] من النِّعم، قال: هذه النعم تقتضي استغراق العمر في شكرها، فإذا فرغت من أمور دنياك؛ فانصب في العبادة، فلا أقل منها؛ والنصب: التعب.

الأخرى[2]: في قوله: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَبۡ ۝٨﴾ [سورة الشرح]؛ أي: الذي شرح صدرك، ورفع ذكرك، أحسن إليك، والرغبة إلى جانب الـمُحسن من شيم العقلاء.

ووجه آخر أحسن منه: هو أنه تعالى لما أحسن إليك، وما كنت تدري ما الإحسان، وما كنت رغبت إليه، فكيف يَعمل معك إن رغبت إليه، فارغب إليه تجد إحسانًا لا تجدهُ ذُكر، ولا يسعه صدر.

ووجه آخر أحسن من الكل: وهو أن العارف لا يطلب من الله إلا وجهه والقرب منه، والجنة وما فيها عنده تبع لا أصل، فقال تعالى: إنك ممن شرحت صدره ورفعت ذكره، فأنت أعرف العارفين، فلا ينبغي أن تكون رغبتك إلى الجنة، أو ما دون الله، فارغب إلى الله لا غير وكل خير تبع ذلك.

وجه آخر: وهو أن النبي ﷺ أُمر بزيادة العبادة؛ فقال: إنّ الناس منهم من يطلب الجنة، والخلاص من العذاب المؤبد،(٤٧/أ) ويكفيه لذلك الغرض قول: لا إله إلاّ الله، ولا نَصبَ فيه؛ كما قال ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**»[3]، ومنهم من يطلب الدرجات؛ وذلك بالعمل الصّالح الذي أُوجَب عليهم، وهو بقدر الوسع، وعلى سبيل اليُسر؛ كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ

(١) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: ما كان له عليه.

(٢) أي: من اللطائف، وحقها أن يقول اللطيفة الثامنة؛ لكن لعله لما أشترط على نفسه ذكر سبع فقط أغفل رقمها!

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح ، رقم: (٦٤٠٦) .

﴿ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ومنهم من يطلب القربة والزُلفى والسبيل إليه بالمجاهدة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، وإذا كان هداية السبيل بالمجاهدة، فكيف الجذب[(١)]، والوصُول، وَرَفع قطعُ السبيل من البَين، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [سورة الشرح] ؛ أي: اجعل عبَادتك نصيبًا[(٢)]، شُغل من يرغب إلى الله وحده لا إلى الجنّة وغيرها. والله أعلم.

وأما المُستملحات:

فالأوْلى منها: أن بعض الشّيعة نقل أن في هذه السّورة آية أخرى، وهي: وجعلنا عليًا صهرك، فسمعه ناصبي، فقال: هذا في حق أبي بكر، فقيل: له كان اسم أبي بكر عليًا؟! فقال: لا؛ ولكن اتفق أهل اللغة على إن الضَّمير[(٣)] يقال لأقارب الزوجّة، واختلفوا في أنه هل يقال للخَتنِ[(٤)] صهرٌ أم لا؟ فحمل الآية على المعنى المتفق أوْلى؛ فيكون معناه: ورفعنا لك ذكرك وجعلنا عليًا؛ أي: رفيعًا عَاليًا صِهرُك؛ وهوَ أبو بكر، فيكون معناه: وجعلنا أبا بكر رفيع القدر عليُّ الشّأن، فدَفَعَ الفاسد بالفاسِد!

الثانية: موسى عليه السلام طلب أن يشرح له صدره، وإبراهيم عليه السلام طلب أن يَرفع له ذكره، حيثُ قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٨٤﴾ [سورة الشعراء]، والله تعالى أعطى محمدًا جميع ذلك قبل أن يَطلب.

---

(١) في المعجم الوسيط (١/ ١١٢): « (في اصطلاح الصوفية): حال من أحوال النفس يغيب فيها القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق ويتصل فيها بالعالم العلوي»!. وفي كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي (١/ ٥٥٤): «وعند أهل السلوك عبارة عن جذب الله تعالى عبدًا إلى حضرته».

(٢) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: نصبًا.

(٣) هكذا في الأصل، وفي بقية النسخ: الصهر. وهو الصواب.

(٤) الخَتَنَ بالتحريك: كل من كان من قبل المرأة، مثل الاب والاخ. هكذا عند العرب، وأما عند العامة فختن الرجل: زوج ابنته. الصحاح، للجوهري (٥/ ٢١٠٧) (ختن).

الثالثة: في ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [سورة الشرح]؛ وجهًا آخر لطيفًا ما ذكرناه، وهو يليق بالفوائد الحكميّة لا بالمستملحيّة[(١)] [٤٧/ أ] النَدمِيَّة، وهو أنه أشار إلى تسهيل أمر النّبوة عليه، وإقداره على تحمل أعباء الرّسالة، ووجهه هو أن الله تعالى إذا اختار عبدًا للرسالة أعانه، ومنه قال عليه السلام: «**لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أعطيتها مِنْ غير مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أعْطيتها عن مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا**»[(٢)]، ويدلك على هذا قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝٢٦﴾ [سورة طه]؛ أي: أمر الرسالة، بدليل قوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۝٢٨﴾ [سورة طه]؛ فقال تعالى: شرحنا صدرك، ويسرنا بعد العسر أمرك؛ وهو أمر الرسالة، إذا فرغت فانصب كما يليق بالأنبياء، وإلى ربك فارغب كما يكون حَال الأصْفياء[(٣)]، ولا تسأل عليه أجرًا؛ فما أجرك إلا وجه الله، كما قال الرسل بأسرهم: ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس:٧٢].

الرابعة: عادة الملوك على خلاف سُنة الله تعالى في أمورٍ، منها: أن الله تعالى لما أرسل رسوله وجعل أمره كأمره وحكمه كحكمه، ووضع عنه الوزر، وقال له: ووضعنا عنك وزرك فانصب في عبادتنا، وارغب إلينا، والملوك إذا استَوزروا واحدًا جَعلوه وَزيرًا؛ أي: مَوزُورًا مُحمَّلاً أوزارَ الملك وأَثقالهُ، ثم يقولون له أنت معفو عن الوقوف بين أيدينا، وعن التردُدِ إلى بابنا، ولا يليق بك الاجتماع بنا، والدوران معنا كثيرًا، فيكون ذلك الوزير لا يجتمع بالملك إلا في مُدة مَديدة، والذي

---

(١) في (ت)،(غ)، (ب): المستملحة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب قوْل اللَّهِ تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ...﴾، رقم: (٦٦٢٢)، ولفظه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ».

(٣) في (ت)،(ب): حال منْ وَصَفْنَا.

هُو النّديم دائما مع الملك، فيكون أمرَ الوزير كأمر الملك؛ ولكن عليه أثقال الـمَلك، وأعباء السّلطنة، وله الحرمان من مجالسة السّلطان، كل ذلك لعجز الملوك وقدرة الله تعالى.

الخامسة: اعلم أن اللهَ تعالى جعل الصّدر للعلم النّافع، والظهر للعمل الفاسد، فجعل الوزر على الظهر، ولهذا قال: ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:٣]، [٤٧/ ب] وقال: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام:٣١]، فالذي يكون شقيًا يعكس الأمر، ويجعل العلم والكتاب وراء ظهره، والعمل الفاسد في وسْط صدره، فيكون قلبه مشغولاً بأمر الشُرب، والزّنا، وغيرهمَا.

السادسة: قوله: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [سورة الشرح]؛ بيان أحسن الجزاء ثوابًا على أشق الأعمال، فإنه لما قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [سورة الشرح]،وكان ذلك أمرًا بالمداومة على العبادة، حيث جعل عقيب كل فراغ أمرًا وأمرًا بالعمل العظيم، والمجاهدة البالغة، حيث قال: ﴿فَٱنصَبْ﴾ [الشرح:٧] والنّصب: تعبٌ، قال: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [سورة الشرح]؛ أي: لا تطلب عليه إلا الله، وهذا أحسن الأجزية، وكيف لا؟! وقال فرعون للسحرة: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف:١١٤]، والواحد من الناس إن خيّره الملِك بين: القُرب منه وبين المال الكثير والـمُلك العظيم، يختار القرب، ومن لا يختاره فلخوف العاقبة، حتّى إن علم الأمن الكُليّ، ما كان يترك القرب بشيء من الأشياء، فكيف القرب من الله، وهذا المعنى حُكمي، وهو: أن الـمَلِك مَنْبَعُ الخيرات، ومن قرب منه فاز به كل ساعة، وتجدّد له كل يوم نعمة، ومن بعد منه بمالٍ إذا نفذ المال جاع، فالله تعالى أولى بأن يُطلب ويُرغب فيه.

السابعة: الله تعالى بيّنَ لنبيّه ثلاثة أنواع من النعم: شرح الصّدر، ووضع الوزر، ورَفع الذّكر، ثم أمره بأمرين: النّصبُ لله، والرغبة إلى الله، فكان الإنعام أكثر من

الشكر المطلوب بعده، كذلك ينبغي أن يكون الملوك؛ يكون[(١)] نعمهم مع الرعيَّة أكثر من طلبهم الخِدمة منهم؛ لكن الأمر بالعكس، فإن نعم أكثر الملوك بقدرٍ مُرتبٍ من الجِرَاية[(٢)]، والرّواتب، وطلبهم مِنهُ[(٣)] أن يقدم المستخدم [٤٨/أ] أمرهم على أمر الله، فهذه الخِسّةُ، وأخسُ من هذا طباعًا من خدم على هذا الوجه، وباع الله بدراهم، والله أعلمُ .

(١) في (ت)،(ب): تكون، وفي(خ): بدون هذه الكلمة.

(٢) أي: الجاري من الوظائف. انظر: الصحاح، للجوهري (٦/ ٢٣٠١)(جرى).

(٣) في (غ): منهم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، أما بعد .

فبعد التطواف مع تفسير هذه السورة الكريمة والمتعلقة بحق سيد المرسلين أقول:

– أهم النتائج:

١. الحمد لله على ما أتم وأعان ويسر على تحقيق هذه السورة، وإخراجها من هذا السفر القيم، الذي حقه وحق مؤلفه إخراج تراثه والعناية به، والعمل قائم على ذلك وسيرى النور قريبا إن شاء الله.

٢. أجاد المؤلف في تفسيره لهذه السورة بأسلوب إبداعي جديد في التفسير، قائم على تدبر وبُعد نظر وثقابة ذهن، تناول فيه السورة مقتصرًا على ذكر لطائفها.

٣. يجد القارئ في هذا التفسير أسلوبًا تعليميًا رصينًا؛ في صياغة مادته بسؤال شيق، ثم عرض للإجابة؛ في أكثر من وجه، فلا ينتهي من قراءته؛ إلا وقد علق بذهنه ولا بد!

٤. أظهر المؤلف جانبًا مهمًا، أبرز فيه وجوب الارتباط بآيات الله، والرد على كل مخالف؛ ومن ذلك حينما قال: واعلم أن بعض الكفرة أو الفسقة من الذين جلسوا في الخلوة ولم يسعدهم الله بها وسلط عليهم الشيطان.... وقوله: وأعلم أن ما ذكرنا من درجة التكميل ليس كما يظنه جهال الفلاسفة من الاكتساب.

٥. تكلَّم المؤلف في تفسير هذه السورة بما يدل على نصحه، وإدراكه لواقعه، وشفقته؛ ومن ذلك قوله: كذلك ينبغي أن يكون الملوك؛ يكون نعمهم مع الرعيَّة أكثر من طلبهم الخِدمة منهم؛ لكن الأمر بالعكس، فإن نعم أكثر الملوك بقدرٍ مُرتبٍ

من الجرَاية، والرّواتب، وطلبهم مِنهُ أن يقدم المستخدم أمرهم على أمر الله، فهذه الخِسّةُ، وأخسُ من هذا طباعًا من خدم على هذا الوجه، وباع الله بدراهم .

– أهم التوصيات:

١. تحقيق كتب المؤلف تحقيقاً علمياً؛ إذ إنه لم يطبع منها إلا السفينة النوحية.

٢. الأخذ بطريقة المؤلف في التأليف، والتفسير، فقد أجاد، وأفاد، رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهرس المصادر والمراجع

١. **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٢. **الأنساب**، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ.

٣. **أنيس السَّاري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فتح الباري**، نبيل بن منصور بن يعقوب البصارة الكويتي، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ .

٤. **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، إسماعيل بن محمد أمين الباباني، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

٥. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٦. **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٧. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ.

٨. **بغية الطلب في تاريخ حلب**، عمر بن أحمد ابن العديم، تحقق: د. سهيل زكار، دار الفكر، د.ط، د.ن .

٩. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

١٠. **التاريخ المنصوري** (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، محمد بن علي بن نظيف الحموي، تحقق: دكتور أبو العبد دودو، مطبعة الحجاز / مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، د.ت.

١١. **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت .

١٢. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية، تونس، د.ط، ١٩٨٤هـ.

١٣. **التدوين في أخبار قزوين**، عبد الكريم بن محمد القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٤. **تذكرة الحفاظ**، محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٥. **التسهيل لعلوم التنزيل**، محمد بن أحمد ابن جزي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ .

١٦. **تفسير عبد الرزاق**، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

١٧. **التفسير والمفسرون**، محمد بن حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، د.ت.

١٨. **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحنبلي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٩. **تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب**، محمد بن علي بن محمود ابن الصابوني ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت .

٢٠. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢١. **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، محمد بن عبد الله الشهير بابن ناصر الدين، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

٢٢. **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٣. **جمهرة أنساب العرب**، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٤. **الحاوي في الطب**، محمد بن زكريا الرازي، تحقيق: هيثم خليفة طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢٥. **خزانة التراث** (فهرس مخطوطات)، إصداره مركز الملك فيصل.

٢٦. **الدارس في تاريخ المدارس**، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ .

٢٧. **دلائل النبوة**، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، د.م، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

٢٨. **ذيل الروضتين مطبوعا مع الروضتين**، عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٩. **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٠. **السفينة النوحية في السكينة الروحية**، شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة الخويي، طبعه وصححه محمد راغب الطباخ، حلب، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٧هـ.

٣١. **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد الذهبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٣٢. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٣. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ.

٣٤. **صحيح البخاري** (الجامع المسند الصحيح)، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٥. **طبقات الشافعية الكبرى**، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: الطناحي والحلو، دار هجر، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٣٦. **طبقات الشافعية**، أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ .

٣٧. **طبقات الشافعيين**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ١٤١٣هـ.

٣٨. **طبقات علماء الحديث**، محمد بن أحمد الصالحي، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

٣٩. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، تحقق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، د.ت .

٤٠. **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ.

٤١. **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط**، مؤسسة آل البيت، عَمان، ١٤٢٠هـ.

٤٢. **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، دار السعادة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٢٤هـ.

٤٣. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ .

٤٤. **القانون في الطب**، الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق: محمد أمين الضناوي، د.م، د.ن، د.ط، د.ت.

٤٥. **قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان**، كمال الدين أبو البركات المبارك، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٥م.

٤٦. **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**، أحمد بن علي بن حجر، مكتبة المعارف، الرياض، د.ط، د.ت .

٤٧. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٤٨. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

٤٩. **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، أحمد بن إبراهيم سبط ابن العجمي، دار القلم، حلب الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ .

٥٠. **لباب النقول في أسباب النزول**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت .

٥١. **اللباب في تهذيب الأنساب**، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

٥٢. **لسان العرب**، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٥٣. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، د.م، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٤. **مختصر في شواذ القرآن**، الحسين بن أحمد بن خالويه، المطبعة الرحمانية، مصر، د.ط، ١٣٥٢هـ.

٥٥. **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، سبط ابن الجوزي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة: الأولى،١٤٣٤هـ .

٥٦. **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، أحمد بن يحيى العمري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٥٧. **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم محمد بن عبد الله، النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٥٨. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

٥٩. **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط الثانية، ١٩٩٥م.

٦٠. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

٦١. **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٦٢. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرين، دار الدعوة، د.ط، د.ت .

٦٣. **معجم دمشق التاريخي**، د. قتيبة الشهابي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩م .

٦٤. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٦٥. **مفاتيح الغيب**، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٦٦. **المقفى الكبير**، تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ .

٦٧. **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد بن علي التهانوي، تحقيق: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.

٦٨. **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، إبراهيم بن ابن دُقْماق، تحقيق: الدكتور سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ .

٦٩. **النكت والعيون** (تفسير الماوردي)، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت .

٧٠. **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ .

٧١. **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤١٣هـ.

٧٢. **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧٣. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المستخلص	٥٥٣
المقدمة	٥٥٤
أهمية الموضوع	٥٥٤
أسباب اختيار البحث	٥٥٤
الدراسات السابقة	٥٥٤
خطة البحث	٥٥٤
منهج التحقيق	٥٥٥
المبحث الأول: الدراسة	٥٥٦
المطلب الأول: ترجمة المؤلِّف	٥٥٦
أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه	٥٥٦
ثانياً: مولده	٥٥٧
ثالثاً: نشأته وحياته العلمية	٥٥٧
رابعاً: ثناء العلماء عليه	٥٦٢
خامساً: شيوخه وتلاميذه	٥٦٣
سادساً: مصنفاته	٥٦٥
سابعاً: وفاته	٥٦٧
المطلب الثاني: دراسة الكتاب	٥٦٨
أولاً: تحقيق اسم الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلف	٥٦٨
ثانياً: منهج المؤلف في كتابه من خلال الجزء المحقق	٥٦٩
ثالثاً: وصف النسخ الخطية	٥٧٠
نماذج مصورة	٥٧٥
المبحث الثاني: النص المحقق (سورة الشرح)	٥٨٠
الخاتمة	٥٩٧
فهرس المصادر والمراجع	٥٩٩
فهرس الموضوعات	٦٠٥